اللغة وأثرها في التواصل الاجتماعي
قراءة في الموروث البلاغي

Language and its Role in Social Communication

م . د . محمّد ضياء الدّين خليل إبراهيم

كليّة الإمام الأعظم الجامعة

قسم اللّغـة العربيّـة

Dr : Dhiya Aldeen Khalil Ibrahim

Dept.of Arabic,Imam A'dam College,Baghdad,Iraq

ملخص البحث

عني الباحثون بدراسة اللغة وفقاً لاتجاهين رئيسين:

الأول:الاتجاه الشكلي، الذي قعَّدَ العرب من خلاله لعلمي النحو والصرف، وتمثل عند الغربيين في اللسانيات الصارمة، التي تُعْنَى بدراسة النظام اللغوي، معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي.

وهناك اتجاه آخر، وهو الاتجاه التواصلي الذي يدرس اللغة من خلال المنجز اللفظي في سياق معين، وقد تمثل هذه الاتجاه في مناهج كثيرة، منها: تحليل الخطاب، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية.

وعلى الرغم من تعدد هذه الدراسات وتركيز كل منها على جانب معين إلَّا أنَّها تشترك كلها في إطار معين وهو الإطار التواصلي، إذ يحاول الباحثون تحديد فعل التواصل، وكيفية حدوثه، والاستراتيجيات التي يوظفها المرسل للتواصل مع الآخرين، وذلك انطلاقاً من أنَّ التواصل نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أو أكثر، وحتى بين الفرد وذاته، ومن هنا تعددت أشكال التواصل، فكانت أربعة: التواصل الذاتي، والتواصل الشخصي، والتواصل الاجتماعي، والتواصل الثقافي، ويقوم كل شكل على عناصر محددة، قد يشترك بعضها في جميع الأشكال.

إنَّ عملية التواصل من شأنها أن تحافظ على حياة اللغة؛ لأنَّ اللغة تعيش بالتداول، وبغيره لا حياة لها، ولا تكون اللغة لغةً إلَّا إذا عاشت بين أحضان المجتمع، وهذا ما ذهب إليه دوركايم بقوله:((إنَّ حدود اللغات تميل إلى الاقتران بحدود الزمر الاجتماعية (sociauxgroupes) التي تدعم الأعم))[1].

ومنه فلا تعيش أي لغة كانت إلَّا بين زمرة اجتماعية ما، مِمَّا يؤكد بأنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية، فالإنسان يتواصل مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، ويختلط بهم في أوقات وأماكن مختلفة.

فاللغة ظاهرة اجتماعية وضرورية في حياة الإنسان، إذ يستطيع الإنسان الاستغناء عن أشياء كثيرة، لكن لا يستطيع الاستغناء عن اللغة باعتبارها جزءًا من حياته، وانطلاقًا من هذه الأهمية الاجتماعية للغة أردنا أن نقف عند التواصل اللغوي الاجتماعي وأشكاله في اللغةمن منظور تراثنا البلاغي الذي خلَّفه أسلافنا، فنحلل قواعد هذا التواصل، ونشرح أسسه، ونظهر مرتكزاته، فلذا جاءت هذه الدراسة.

ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي :

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان «التواصل» المفاهيم والدلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التواصل، ومعناه عند القدامى والمحدثين، ومفهوم التواصل الاجتماعي وأهم عناصره.

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان «وجوه التواصل اللغوي الاجتماعي» الخطابة أنموذجًا، وقد تناولنا في هذا المبحث وجوه التواصل اللغوي الاجتماعي، وركزنا الحديث على الخطابة كونها أهم وجوه التواصل اللغوي الاجتماعي التي أشار إليها البلاغيون العرب ووقفوا عندها بالدراسة والتحليل.

المبحث الثالث: وقد جاء بعنوان «ضوابط التواصل اللغوي الاجتماعي»، وقد تناولنا في هذا المبحث الضوابط التي وضعها البلاغيون العرب في أثناء عملية التواصل الاجتماعي، منها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكذلك توقفنا في هذا المبحث على عيوب الكلام التي يجب الاحتراز منها في عملية التواصل، من العيوب التي تتصل بالنطق، وما يتصل بالخطيب أو المتكلم.

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكر منها:

١- إنَّ للغة عدة وظائف، ومن أهمها الوظيفة التواصلية، التي من شأنها أن تحافظ على حياة اللغة؛ لأنَّ اللغة تعيش بالتداول، وبغيره لا حياة لها.

٢- إنَّ علماء العربية في تراثهم اللغوي والبلاغي قد تنبهوا إلى معنى التواصل من خلال تعريفهم اللغة، إذ أعطاها ابن جني من خلال تعريفه سمة الجماعية.

٣- حدد علماء العربية عناصر التواصل، فتوصلوا إلى أنَّ الملقي(المتكلم) والمتلقي(السامع) باعتبارهما العنصرين الأساسين في العملية التواصلية يتبادلان بينهما رسالة(خبر)عن طريق قناة وهي(اللغة)أو ما يقوم مقامها كالإشارة باليد أو الإيماء بالرأس وغيرهما، ولا يكون ذلك إلَّا في سياق معين(مقتضى الحال/ المقام)، وحتى يكون الفهم والإفهام تامّاً لا بُدَّ أن يتعارف المتكلم والسامع على شفرة معينة، وذلك ما سماه ابن سنان بالمواضعة، وبذلك تكتمل عناصر التواصل الستة.

Abstract

The research studies language from two trends :

1-The formal side , on which Arabs distinguished two branches; syntax and morphology. According to Westerners, it includes the pure linguistics which deals with the language system excluding the context of social communication.

2.The second side is the communicative trend which studies language production in a certain context . This includes different branches such as, discourse analysis, sociolinguistics, and pragmatics .

Despite the multiplicity of these studies and their focus on a particular aspect , they all share a common framework which is the given communicative framework. Researchers have tried to identify the act of communication, how it occurs, and the strategies employed by the sender to communicate with others. Since communication is a social activity between two or more parties, and even between individual and itself, many forms of communication are distinguished. Some forms of communication include personal communication, interpersonal, social communication, and cultural communication. Each form is based on specific elements, and some of them may appear in all forms.

The process of communication gives life to language because language lives in communication , and it dies away from it. Language is not regarded as language unless it is used by societies .This is supported by Durkheim who mentioned that, “the boundaries of languages tend to correspond with the boundaries of social groups.»

Therefore; language does not exist or live unless it is in a particular social group. This also proves that language is a social phenomenon. A human being communicates with the members of society that he lives in , and mixes

with them at different times and places.

Language is essential to human life. A human being can get along without many things, but cannot dispense with language as a part of life. On the basis of this social function of language, we intend to investigate the social and linguistic communication and its forms in language from the perspective of the rhetorical heritage of our ancestors. We attempt to analyze its rules , explaining its bases , and demonstrating its pivots . Therefore, this study is conducted for this purpose.

In order to achieve this aim , the study is divided into three sections:

The first section is titled ‹communication› , concepts meanings . In and this section,we dealt with the concept of communication, its meaning in the ancient and the modern scholars, the concept of social communication and its most important elements.

The second topic is titled, ‹Modes of language and social communication› , in particular discourse as a sample of study. In this section, the modes of language and social communication are reviewed, mainly focusing on discourse as the most important subject of language and social communication , which is discussed by Arab Rhetorician in their study and analysis.

The third section is titled as ‹language social communication rules›. It briefly describes the topic of rules in the process of social communication, that were established by Arab rhetoricians. These rules consist of the conformity of speech within situations .This section ended with speech defects which must be a given particular attention to in the process of communication, such as the defects that are related to pronunciation, and those related to the orator or speaker.

Some conclusions are drawn :

1. Language has several functions. The most important is the communicative

function, which would give life to language, because language lives in use and does not live without it.

2.Arab scholars in their language and rhetorical heritage paid attention to the meaning of communication through their definition of language. Bin Genie gave it communal attribute.

3. Arabic scholars pinpointed the components of communication ,such as sender (speaker) and recipient (hearer) as the key components of communication. A message is exchanged (news) by either a channel (language) or anything that replaces it such as hand gesture or nodding the head ,etc. This does not occur except in a particular context (situation/place). To achieve complete understanding between them, speaker and hearer must get to know a certain code, which Ibn Sinan called convention, and thus completed the six components of communication.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. أمَّا بعد:

فقد عني الباحثون بدراسة اللغة وفقاً لاتجاهين رئيسين:

الاتجاه الشكلي، الذي قعَّدَ العرب من خلاله لعلمي النحو والصرف، وتمثل عند الغربيين في اللسانيات الصارمة، التي تُعْنَى بدراسة النظام اللغوي، معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي.

وهناك اتجاه آخر، وهو الاتجاه التواصلي الذي يدرس اللغة من خلال المنجز اللفظي في سياق معين، وقد تمثل هذه الاتجاه في مناهج كثيرة ،منها:تحليل الخطاب، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية.

ووعلى الرغم من تعدد هذه الدراسات وتركيز كل منها على جانب معين إلَّا أنَّها تشترك كلها في إطار معين وهو الإطار التواصلي، إذ يحاول الباحثون تحديد فعل التواصل، وكيفية حدوثه، والاستراتيجيات التي يوظفها المرسل للتواصل مع الآخرين، وذلك انطلاقاً من أنَّ التواصل نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أو أكثر، وحتى بين الفرد وذاته، ومن هنا تعددت أشكال التواصل، فكانت أربعة: التواصل الذاتي، والتواصل الشخصي، والتواصل الاجتماعي، والتواصل الثقافي، ويقوم كل شكل على عناصر محددة، قد يشترك بعضها في جميع الأشكال.

إنَّ عملية التواصل من شأنها أن تحافظ على حياة اللغة؛ لأنَّ اللغة تعيش بالاستعمال، وبغيره لا حياة لها، ولا تكون اللغة لغةً إلَّا إذا عاشت بين أحضان المجتمع، وهذا ما ذهب إليه دوركايم بقوله: ((إنَّ حدود اللغات تميل إلى الاقتران بحدود الزمر الاجتماعية (sociaux groupes) التي تدعم الأعم))[1].

ومنه فلا تعيش أي لغة كانت إلَّا بين زمرة اجتماعية ما، مِمَّا يؤكد بأنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية، فالإنسان يتواصل مع أفراد المجتمع الذي يعيش بينهم، ويختلط بهم في أوقات وأماكن مختلفة.

إذاً فاللغة ظاهرة اجتماعية وضرورية في حياة الإنسان، إذ يستطيع الإنسان الاستغناء عن أشياء كثيرة، لكن لا يستطيع الاستغناء عن اللغة كونها جزءا من حياته، وانطلاقًا من هذه الأهمية الاجتماعية للغة أردنا أن نقف عند التواصل اللغوي الاجتماعي وأشكاله في اللغة من منظور تراثنا البلاغي الذي خلَّفه أسلافنا، فنحلل قواعد هذا التواصل، ونشرح أسسه، ونظهر مرتكزاته، فلذا جاءت هذه الدراسة .

ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان «التواصل» المفاهيم والدلالات ، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التواصل، ومعناه عند القدامى والمحدثين، ومفهوم التواصل الاجتماعي وأهم عناصره .

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان ((وجوه التواصل اللغوي الاجتماعي)) الخطابة أنموذجًا، وقد تناولنا في هذا المبحث وجـــــــوه التواصـــل اللغوي الاجتماعي، وركزنا الحديـث عـــــلى الخطابة كونـــــهـــا أهم وجوه التواصل اللغوي الاجتماعي التي أشار إليها البلاغيون العرب ووقفوا عندها بالدراسة والتحليل.

المبحث الثالث: وقد جاء بعنوان ((ضوابط التواصل اللغوي الاجتماعي)) ، وقد تناولنا في هذا المبحث الضوابط التي وضعها البلاغيون العرب في أثناء عملية التواصل الاجتماعي، منها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكذلك توقفنا في هذا المبحث على عيوب الكلام التي يجب الاحتراز منها في عملية التواصل، من العيوب التي تتصل بالنطق، وما يتصل بالخطيب أو المتكلم .

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقّه، وأَن يفيد منها الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

((التواصل)) المفاهيم والدلالات

المطلب الأول: مفهوم التواصل:

١ـ التواصل لغة:

التواصل، مشتق من مادة وصل، و((الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يَعْلَقَه))[٢]،والوصل ضد الهجران[٣]،((وصل فلان رحمه يصلها صلة، ووصل الشيء بالشيء يصله وصلاً، وواصلتُ الصيام بالصيام))[٤]،والتواصل: ضد التصادم، والوصل: الرسالة ترسلها إلى صاحبك[٥].

واستناداً لهذه المعاني اللغوية، يتضح أنَّ المراد بالتواصل لغة: الاقتران والاتصال والصلة والالتئام والجمع والإبلاغ، كما يتبين أنَّ هناك تشابها في الدلالة والمعنى.

٢ـ التواصل عند علماء العربية القدامى:

لقد ركز علماء العربية في تعريف اللغة والبلاغة على خاصية التواصل، فابن جني يعرف اللغة بقوله:((أمّا حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[٦]،وهو بهذا قد أعطى للغة سمة الجماعية، وهي سمة من سمات التواصل، إذ لا تكون اللغة لغةً إلَّا إذا توافر فيها مُلقٍ ومُتَلقٍ، وتكون صالحة للتعبير عن الأغراض في الاستمرارية.

وقد انحصرت وظيفة اللغة عند ابن سنان الخفاجي، في الوظيفة التبليغية، ويدل على ذلك قوله:((ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جليّاً لا يحتاج إلى فكرٍ في استخراجه، وتأملٍ لفهمه والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أنَّ الكلام غير مقصود في نفسه وإنَّما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم))[٧].

إنَّ في كلام ابن سنان إشارة إلى التواصل من خلال توجيه رسالة من متكلم إلى سامع، وذلك عبر قناة وهي (الكلام)، فالمتكلم لا غاية له بالكلام ذاته، وإنَّمَا ليوصل عن طريقه رسالة إلى سامعيه، ومن هنا فإنَّ عملية التواصل تقوم عند ابن جني وابن سنان من خلال تعريفهما للغة على عناصر أربعة (متكلم، سامع، رسالة، قناة)، كما يظهر أنَّ الإنسان في حاجة للغة لأداء أغراضه،((وهكذا نجد أَنَّ حاجة الإنسان إلى اللغة شرط من شروط تواصله مع الآخرين))[٨].

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي من خلال قول ابن سنان الخفاجي وهو في سياق حديثه عن البلاغة، إذ يقول:((يكفي من حظ البلاغة ألَّا يؤتى السامع من سوء فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع))[٩].

وهنا يركز ابن سنان على الوظيفة الإفهامية للغة ، فمن أوفر حظوظها أنَّها فهم وإفهام بين المتكلم والسامع، كما أنَّ العسكري يذهب إلى أنَّ((البلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن))[١٠].

فالعسكري يركز في تعريفه هذا، على إيصال المعاني بعد تمكنها في قلب المتكلم نفسه، فكأنَّنا نراه يركز على تواصل المتكلم مع نفسه أولاً وتفكيره فيما سيقول، وبعد أن يتمكن في نفسه يحاول إيصاله إلى المتلقي، وهذا وجه آخر من وجوه التواصل الذي

يسميه المحدثون بالتواصل الذاتي.

وفسَّر ابن المقفع البلاغة تفسيراً لم يفسره غيره على رأي العسكري:((إذ قال: البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون خطبًا)) [١١]،وفي هذا القول تركيز على السامع والمتكلم معاً؛ لأنَّهما يمثلان طرفي التواصل.

ويركز السكاكي في تعريفه للبلاغة على شرط حسن التركيب حتى تقوم عملية التواصل على أسس صحيحة، فالبلاغة عنده:((هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفيه خواص التركيب حقها)) [١٢].

وذلك حتى يتمكن السامع من فهم الرسالة المنقولة إليه، بشرط أن يتساوى مع مخاطبه في درجة الفهم أو أن يخاطبه بحسب قدراته الذهنية ومكانته.

أمَّا سيبويه فنستخلص من خلال تقسيمه للكلام من حيث الاستقامة تركيزه على وصول المعنى إلى المتلقي، إذ قسَّم الكلام إلى، حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب، وفصّل في ذلك قائلاً:((فأمَّا المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غداً. وأمَّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره ، فتقول: أتيتك غداً ، وسآتيك أمس. وأمَّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشربتُ ماء البحر ونحوه. وأمَّا المستقيم القبيح: فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك وأشباه هذا. وأمَّا المحال الكذب فأن تقول :سوف أشربُ ماء البحر أمس)) [١٣].

وهنا نلاحظ أنَّ سيبويه قد ركز على استقامة الكلام حتى يصل الملقى إلى ذهن المتلقي، فالمستقيم الحسن هو الذي يفهم بطريقة بسيطة جلية من خلال حسن اللفظ، واستقامة المعنى، كما أنَّ المستقيم الكذب مستساغ كذلك من حيث حمله على المجاز أمَّا المستقيم القبيح، فإنَّ السامع يصعب عليه فهمه؛ لأنَّ الألفاظ في غير موضعها، وأمَّا المحال الكذب، والمحال، فقد ينقطع فيهما التواصل لعدم استقامة الكلام، وهنا يظهر لنا اهتمام النحويين أيضاً بالتواصل؛ لأنَّ الغاية هي إفهام السامع من خلال التعابير المستقيمة.

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي من خلال الإبانة عن المعاني، إذ يقول الجاحظ:((والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائِنَاً ما كان ذلك البيان، ومن أيِّ جنس كان الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنَّما هو الفهم والإفهام، فبأَيِّ شيء بلغتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع)) [١٤].

إنَّ الجاحظ بكلامه عن البيان؛ الذي يقصد به الإبانة بأيِّ طريقة كانت ، يكون قد حدد خمسة عناصر للعملية التواصلية، وهي(المتكلم/ السامع/ الرسالة/ القناة/ الشفرة)، فالرسالة تصل من متكلم إلى سامع، وغاية كُلٍّ منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة، وأمَّا الشفرة فهي(كشف قناع المعنى)، بل إنَّ الجاحظ أخرج التواصل من دائرته الضيقة التي تعتمد على المنطوق فقط، فجعل((جميع أصناف الدلالات على

المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبةً))[١٥].

فالتواصل على ما يرى الجاحظ لا يكون بالمنطوق فقط، بل يكون بالكتابة أيضاً إذا كان المخاطب متعلماً وهو الذي أطلق عليه(الخط)، أو يكون بالإشارة والإماءة، وقد يكون بالعقد أو الحال الناطقة بالدلالة التي سماها (النصبة) وهي الناتجة عن التأمل والتفكّر.

وليس رأي الجاحظ ببعيد عن تقسيم ابن وهب، الذي يرى((أنَّ البيان أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللُّب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يُبَلِّغ مَنْ بَعُدَ وغاب))[١٦].

فإذا وازنَّا هذا التقسيم الذي وضعه ابن وهب، لوجدنا((أنَّ هذا العالم العربي الذي ألَّف كتابه بعد عام (٣٥٥هـ) قد وضع لعلماء الاتصال تصنيفاً علمياً، قبل أن يضع رويش Ruesch وبيتسون Pateson تصنيفهما الرباعي، والذي يتفق إلى حد كبير مع تصنيف
صاحب البرهان، حيث يذهبان إلى تقسيم الاتصال أربعة أقسام))[١٧].

وهكذا يظهر لنا رؤية علماء العربية للتواصل، وكيف نَظَّرُوا له من خلال اللغة بِعَدِّها (قناةً للتواصل) وكذلك لم يغفلوا العناصر الأخرى، وهي: (الرسالة) والمتمثلة في الخبر المنقول بين (متكلم وسامع)، ويكون ذلك في سياق معين والذي سمته العرب(المقام) أو(مقتضى الحال) وفي ذلك يقول السكاكي:((لا يخفى عليك أنَّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، وارتفاع شأن الكلام من باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لِمَا يليق به وهو مقتضى الحال))[١٨].

كما لم ينسوا (الشفرة) التي يضمن بها المتكلم وصول خبره سليماً إلى سامعه، بل يضمن فهم السامع له، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كانت هناك شفرة يتعارف عليها الطرفان لضمان وصول الإرسالية، فاللغة عندهم((عبارة عمَّا يتواضع عليه القوم من الكلام))[١٩].

نجد مِمَّا تقدم ذكره أنَّ عناصر التواصل في التراث مكتملة، وهي ستة: ملقي(متكلم)، متلقي(السامع)، رسالة (الخبر)، قناة (اللغة أو ما يقوم مقامها)، سياق (المقام أو مقتضى الحال)، الشفرة (المواضعة).

٣ـ مفهوم التواصل عند المحدثين:

حدد علماء العصر الحديث العملية التواصلية من خلال تحديد عناصرها بطريقة أكثر عملية، واعتمادها كذلك على معطيات البحث العلمي المعاصر، فقد((قدم كلود شانون- وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية – خطاطة تختصر من خلال خاناتها ونمط اشتغالها العملية التواصلية برمتها:

مصدر الخبر ⟸ الباث ⟸ الإشارة النهائية ⟸ المتلقي ⟸ الهدف

الإرسالية الإشارة المبثوثة الإرسالية))[٤] .

أمَّا اللغويون فقد وصفوا عملية التواصل من خلال تعريفهم للغة ، إذ وصفها دي سوسير ((بين (أ) و(ب) وهما يتبادلان حديثهما فيما بينهما على النحو الآتي:

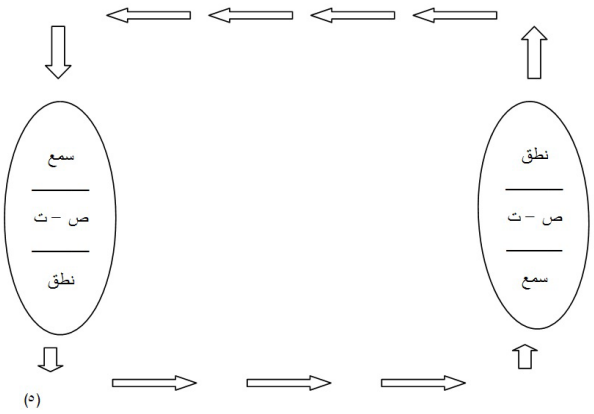

(٥)

ومن هنا نرى أنَّ سوسير قد حدد دورة تخاطبية بين طرفي الخطاب، انطلاقًا من التصور إلى الصورة السمعية المنتقلة من صورة كلامية بالنسبة للمتكلم إلى سمع بالنسبة للسامع.

أمَّا مارتينيه فيرى أنَّ((إحدى وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم))[٢٠].

يظهر من خلال كلام مارتينيه أنَّ للغة عدة وظائف، لكن التواصل رُبَّمَا يعد من بين أهم وظائفها نظراً لإقامته علاقات متبادلة بين مستعملي اللغة.

وقد قسم جاكبسون وظائف اللغة إلى ست خانات و((كل خانة تشير إلى وظيفة معينة فالانفعال مرتبط بالمتكلم(الوظيفة الانفعالية)، أمَّا المتلقي فقد يكون عرضة للزجر والأمر والنهي والتوجيه (الوظيفة الإفهاميـــــة).

أمّا الشعري فمثواه الإرسالية(الوظيفة الشعرية)، ويتحدد المرجع من خلال الإحالة على السياق(الوظيفة المرجعية)ويرتبط السنن باللغة الواصفة (الميتالغوية)،وقد لا تتجاوز الواقعية الإبلاغية، حدود الحفاظ على حالة من التواصل، خلال التأكيد على أداة الاتصال(الوظيفة اللغوية) وتلكم هي الوظائف الست، التي يشير إليها جاكبسون من خلال صياغته نموذجه التواصلي:

مرجعية
(السياق)
⇩
انفعالية ..... شعرية ..... إفهامية
(المتكلم) (شعري) (المتلقي)
⇩
لغوية
(أداة الاتصال)
⇩
ميتالغوية
(السنن)

(٢).

وهكذا يكون جاكبسون قد ألَمَّ بجميع العناصر التي تقوم عليها العملية التواصلية، مع تحديد الوظائف

المنوطة بكل عنصر.

((ويستعرض (لينش) الوظائف اللغوية من وجهة نظر وظيفية، عند عدد من الباحثين من خلال مستويات متنوعة، انطلاقاً من أنَّ النظرية الوظيفية تَعُدُّ اللغة شكلاً اتصالياً، يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى))[٢١]،هذا مِمَّا يوضح أنَّ التواصل من بين أهم الوظائف التي تؤديها اللغة، إن لم يكن الوظيفة الأساسية لها، ويتأكد ذلك من خلال حصر(بوبر) وظائف استعمال اللغة ((في أربع وظائف مرتبة من الأدنى إلى الأعلى ،وهي:

١ـ الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية).

٢ـ الوظيفة الإشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين).

٣ـ الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي).

٤. الوظيفة الحجاجية (لتقسيم الحجج وتبريرها) [٢٢].

وقد عرَّفَ (هنري سويت) اللغة بأنَّها: ((التعبير عن الأفكار عن طريق الأصوات اللغوية))[٢٣].مِمَّا يستوجب وجـــود(متكلم، سامع، رسالة، قناة)،ويتضح ذلك أكثر في تعريف(سابير)للغة بأنَّها:((وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره))[٢٤].

وهو تقريباً ما نجده في تعريف (يسبرسن)،إذ((تكمن روح اللغة في نوع من النشاط الإنساني، نشـــاط مـــــن جانب فرد يَجُدُّ في إفهام نفسه لشخص آخر، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ما كان يجري في ذهن الشخص الأول))[٢٥]،وهنا يؤكد يسبرسن عن تبادل المتكلم والسامع الوظائف.

إنَّ هذه التعريفات المختلفة للغة، تتفق جميعها على أنَّ الوظيفة الأساسية لها هي الوظيفة التواصلية، وعلى الرغم من ذلك فإنَّه من الصعب أن نعثر على تعريفات للتواصل تتفق في كل جوانبها مع رغبات الباحثين ((فمعجم اللسانيات الذي أشرف عليه ج . دبوا j. dubois يقترح علينا تعريفين:

١ـ التواصل Lacommunication، تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظاً أو قولاً موجهاً نحو متكلم آخر locuteur inter يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية implicite ou explicite وذلك تبعاً لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم sujet Le parlant .

٢ـ التواصل حدث، نبأ ينتقل من نقطة إلى أخرى، ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عدداً من الأشكال المكفوفة qú a été codé))[٢٦].

فمن خلال التعريفين السابقين نرى أنَّ (ج . دبوا) ومن معه من الباحثين قد ركزوا جميعهم على العناصر سالفة الذكر في العملية التواصلية.

في حين أنَّ مفهوم التواصل في((المعجم الذي أشرف عليه (Moles.A denoéL) نجد فيه أنَّ التواصل هو عملية جعل فرد أو مجموعة متموضعة في عنصر من نقطة (س) يشارك في التجارب التي ينشطها محيط آخر متموضع في عهد آخر في نقطة (ص) من مكان آخر ، مستعملاً عناصر المعرفة المشتركة بينهما))[٢٧] .

وهنا يظهر أنَّ صاحب المعجم ركَّز على التواصل بوجهيه المنطوق والمكتوب، لاسيَّما إن كانت هذه المشاركة بين عهدين، كما جاء في التعريف، وكذلك تركيزه على الشفرة واضح جدًا من خلال استعمال عناصر المعرفة المشتركة بين متبادلي الكلام.

ويرى (جرولد كاتز) في حديثه عن التواصل اللغوي أنَّه ((مسار يُكَوِّنُ المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات، هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أنَّ متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم؛ لأنَّ كُلاً منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه، ويتم التواصل؛ لأنَّ المتكلم يرسل مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع إليه لكي يلتقطها))[٢٨].

يتضح من خلال كلام كاتز بأنَّ التواصل لابُدَّ أن يتم عن طريق مواضعة يتعارف عليها طرفا التواصل(الملقي والمتلقي)وهو ما يسمى بـ(الشفرة)،التي لولاها ما تمت العملية التواصلية، ومنه فإنَّ التواصل يقوم على عناصر أساسية هي (متكلم/ سامع/ رسالة/ قناة/ شفرة) فضلاً عن السياق الذي تكون فيه الرسالة.

وخلاصة وظيفة التواصل ما يلاحظه (بينيت) إذ يرى ((أنَّ وظيفة التواصل تتمثل أساساً في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما، أو إلى نسبة عمل ما إليه))[٢٩].

وهكذا فالإنسان هو أساس العملية التواصلية، إذ قد يكون متكلماً أو سامعاً بينه وبين فرد آخر أو جماعة أو قد يكون تواصله عن طريق الكتاب أو الجريدة، وهو ما يسمى بالتواصل الثقافي، وهو في((مشاركة لهذه العمليات الاتصالية يقوم بعمليات اتصال ذاتية يناقش بينه وبين نفسه عدداً من الأفكار والموضوعات)) [٣٠].

وأمّا ما يتصل بفائدة عملية الاتصال والتواصل بالنسبة للفرد والمجتمع، فيمكن أن نلخص هذه الفوائد بما يأتي[٣١]:

١ـ يحدد التواصل دور الفرد داخل المجتمع ، وبذلك يحس كل فرد بقيمته الاجتماعية ، فكل دور اجتماعي يفرض على صاحبه التواصل مع الآخرين .

٢. يساعد الفرد على الاقتراب من غيره وإحساسه بالطمأنينة الناتجة عن التماسك الاجتماعي .

٣. يفيد الفرد في اتخاذ قراراته من خلال معرفته بالقضايا والموضوعات اليومية.

٤. يدعّم انتماء الفرد إلى المجتمع، كونه يكتسب سمات وخصائص المجتمع الذي يعيش فيه.

٥ـ يوفر المعلومات الخاصة بالبيئة، مِمَّا ينعكس على دعم الاستقرار داخل المجتمع وخارجه.

٦ـ يحقق الترابط بين الأفراد ويدعم التفاعل الاجتماعي.

٧. يحقق الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.

٨. يولد الفهم عند الآخرين، فنحن على رأي غرايس((حين نتصل بالناس نفلح في توليد فهم لديهم، يجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك الفهم))[٣٢].

المطلب الثاني

مفهوم التواصل الاجتماعي وعناصره

أولاً : مفهوم التواصل الاجتماعي :

إنَّ الإنسان يقيم تواصلاً ذاتياً بينه وبين نفسه، كما يقيم ذلك مع شخص آخر، فينتقل من التواصل الذاتي إلى الشخصي، وإذا كان بين جماعة أصبح اجتماعياً، ذلك لأنَّ اللغة تواضع اجتماعي، إذ((يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان، أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان، أي: المتكلم والمخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية، أي: طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة وترابط ضروب الاتفاق للقيام بالفعل المشترك الإنجاز))[٣٣]،فيقال مثلاً في لغة العرب أنَّ السيف القاطع:حسامٌ، أي: تواضعوا على أن أطلقوا عليه هذا الاسم، وحددّوا له هذه الصفة[٣٤]، وهذا هو ذات المفهوم الذي جاء به ابن جني عند تعريفه اللغة على أساس أن كلَّ قومٍ يعبرون عن حاجتهم بلغة تواضعوا عليها، لذا نجد العرب تقول عن شيء ما((في لغة بني تميم كذا، وفي لغة أهل الحجاز كذا ...والمعنى أنَّ بني تميم تواضعوا على ذلك، ولم يتواضع أهل الحجاز عليه))[٣٥]،لذا تعدد اللغات عند العرب حسب القوم، كلغة هذيل، ولغة حمير، ولغة أهل الحجاز، وغيرها من اللغات المشهورة عند العرب.

إذاً فالمواضعة أساس التواصل بين أفراد المجتمع ((ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا، جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتدعو الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة ، وتستدعي التخاطب واستخدام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام))[٣٦]، فكل احتكاك اجتماعي في أي مجال كان سواء في مجال الحياة العامة، أو التعليم أو غيرهما ...يعد تواصلاً اجتماعياً بين أفراد هذه الجماعة؛ لأنَّ ((معنى التواصل ... أكثر شمولية من معناه المعتاد، المنحصر في المنطوق والمكتوب والشبه لغوي، أي: تلك العناصر التي تمثل أشكال التبادل الأساسية بين الأفراد ، إنَّنا نوسع من دائرته لكي يشمل أيضاً أفعال وسلوكيات الفاعلين الاجتماعيين))[٣٧]؛ لأنَّ السلوك إذا تعارف عليه المجتمع وأقرّه، يصبح وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، كما كان مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وأصحابه، إن سكت (صلى الله عليه وآله وسلم)على شيء ما أو سلوك ما، وأقره، قالوا سُنَّة تقريرية، فسلوك الصمت عند الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)شيء متعارف عليه.

ويرى جاكبسون أنَّ ((المهمة الطبيعية لِلّسانيات، هي إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم التواصل في العلوم الاجتماعية، وحسب صياغة سابير ، إنَّ ... كل سلوك اجتماعي يتضمن تواصلاً، سواءً كان بمعنى صريح أو ضمني، فالمجتمع لا يبدو بوصفه بنية ثابتة، بل بوصفه شبكة بالغة التعقيد ، من أنواع الفهم الجزئية الكاملة بين أعضاء الوحدات التنظيمية ذات التعقيد، ويعاد التأكيد والتشديد على هذه الشبكة بصورة خلَّاقة عن طريق أفعال معينة ذات أبعاد

تواصلية))[٣٨].

من خلال قول جاكبسون ، يتبين أنَّ التواصل الاجتماعي، ليس تواصلاً لفظياً فقط، بل قد يكون سلوكاً اجتماعياً ذا طبيعة تواصلية، والمقصود من ذلك أن يكون السلوك متعارفاً على معناه ، بحيث يفهم المتلقي ما يريده الملقي بحسب ما تواضع عليه المجتمع تجاه هذا السلوك ، كأن تردَّ فتاة على من تقدَّم لخطبتها بالصمت، فالصمت سلوك معروف بدلالته على القبول؛ لأنَّ ((الاتصال ليس وظيفة بيولوجية يؤديها الإنسان كما يؤدِّي وظائفه الحيوية الأخرى، لكنه يكتسبه من المجتمع))[٣٩]، كما اكتسب مجموعة من السلوكات المتواضع عليها حتى يقيم تواصلاً بينه وبين أفراد المجتمع.

ثانياً: عناصره:

يقوم التواصل الاجتماعي على ذات العناصر التي يقوم عليها التواصل الشخصي، والأهم فيها ثلاثة (الملقي، المتلقي، الرسالة)،ويضاف إلى ذلك المجتمع، إذ((تقوم اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطاب، أوّلها المرسل باعتباره صاحب المبادأة في التواصل، وثانيها المستقبل باعتباره هدفاً مباشراً للرسالة، وثالثها المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل، وباعتباره كذلك مصدر النظام الذي تبنى على أساسه هذه العملية))[٤٠].

والمجتمع هو المجال العام الذي يقوم فيه التواصل؛ لأنَّه مصدر العلاقة بين أطرافه (الملقي والمتلقي)، كما أنَّ له علاقة مباشرة مع الفرد واللغة أيضاً ((فبين الفرد والجماعة علاقة ثنائية الاتجاه، وإن كان تأثير لغة الجماعة في الفرد أقوى من تأثيره في لغة جماعته ...باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة))[٤١]،ومعنى ذلك أنَّ التأثير متبادل بين الفرد والجماعة، وإذا أردنا تجسيد هذه العلاقة نجدها كالمثلث الذي تتعانق أطرافه ، مثلما يوضحه الشكل التالي:

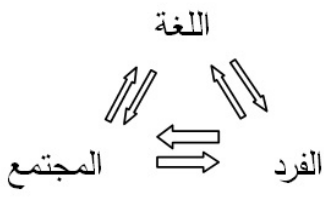

العلاقة بين لغة الفرد والجماعة [٦]

ومن هنا يظهر التكامل بين الفرد والمجتمع في التواصل، إلَّا أنَّ لغة الجماعة تفرض هيمنتها على لغة الفرد، سواءً في لغته المنطوقة، أو حتى في سلوكياته، وتصرفاته، فالفرد في لغته يعبر عن لغة المجتمع الذي ينتمي إليه ((وقد ذهب سوسير إلى أنَّ النظام اللغوي ذو هيمنة على لغة كل فرد من أفراد الجماعة التي تنتمي إلى ذلك النظام، فقد جعل أداء الأفراد الذي سماه parole منبثقًا عن النظام العام الذي سماه (langage)))[٤٢]،والفرد يتماشى حتماً مع لغة مجتمعه حتى يستطيع التواصل معهم ويحدث التفاهم بينهم .

وتعد اللغة وسيلة للتبليغ والتواصل، فالله عزَّ وجلَّ أرسل رُسُلَه كُلٌّ بلسان قومه ليبلغهم، ويبين لهم، وتحصل بينهم المفاهمة[٤٣]،وبذلك يتحقق التواصل مع الآخرين؛ لأنَّ اللغة وسيلة((تعبر عمَّا في الخاطر،

ونقل من نطاق الكامن المخزون المقدّر، إلى نطاق المختار المتحقق المنجز، من أجل التواصل مع الناس بحسب ما تقتضيه وقائع الحياة الاجتماعية))[٤٤].

هذا مِمّا يبين ما للغة من أثر كبير في ربط أواصر المجتمع الواحد، وتوحّد أفراده؛ لأنَّ ذلك يسمح لهم بربط علاقات التواصل فيما بينهم، فـ ((العبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأدب عند مخاطبة الغير لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء، كما تدل على العلاقات الاجتماعية بينهما))[٤٥].

المبحث الثاني

«وجوه التواصل الاجتماعي» الخطابة أنموذجًا

لقد ركز البلاغيون العرب في التواصل الاجتماعي على الخطابة كونها مجسدة له، وبِعَدِّ اللغة التي يجب أن تكون مشتركة بين الخطيب والمستمعين، وتقوم الخطابة على عنصرين أساسيين، هما:المرسل (الخطيب)، والمرسل إليه(جمهور المستمعين)،ولقد اشتغل البلاغيون القدامى على الخطبة كثيرًا ، لاسيَّما الجاحظ الذي خصص لها فصولاً في كتابه البيان والتبيين، مبيناً المضامين المطروقة، وصفات الخطيب، من قوة وجهارة صوت وغيرها، كما ركز على المخاطبين كذلك بحسب أفهامهم وطبقاتهم السياسية والاجتماعية، لذا كان مدار الخطابة على الفهم والإقناع .

١ـ الإفهام: إنَّ غاية الخطيب أوّلاً أن يصل موضوعه إلى ذهن المتلقي، فيقع الفهم، فمدار الخطابة على الفهم والإفهام، كما أنّنا نجد الخطباء قد ركزوا كثيراً على المقدمة الخطابية لشدِّ انتباه جمهورهم، ويمكن توضيح ذلك في المخطط التالي:

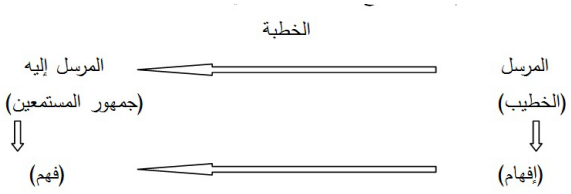

وفي هذه الحالة لابُدَّ من الخطيب أن يراعي حال المرسل إليه ومنزلته فـ((مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم))[٤٦]،أي: حسب مكانتهم الاجتماعية، وحسب معرفتهم باللغة؛ لأنَّ ذلك من شأنه أن يعيق إفهام المتلقي، وتحقيق التواصل .

ومِمَّا تنكره العرب ((أن تُكَلِّمَ الحاضرةُ والمولدون من العرب بما لا يعرفون، وبما هم إلى تفسيره محتاجون، وأن تكلم السخفاء، بما تكلم به الخاصة الأدباء، وإنَّما مثل من يكلم إنساناً بما لا يفهمه وبما يحتاج إلى تفسيره، كمثل من كلَّم عربياً بالفارسية؛ لأنَّ الكلام إنَّما وضع ليعرف به السامع مراد القائل))[٤٧].

ومن هنا يظهر أنَّ العرب قد اهتموا بحال المتلقي أكثر من الملقي، وإن كانوا قد اهتموا بهذا الأخير في بعض الجوانب، حتى يستطيع الوصول إلى إفهام المخاطب، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ أنَّ عمرو بن عبيد المعتزلي سُئِلَ عن معنى البلاغة، فقال:((إنَّك إن

أُوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلَّفين، وتخفيف المؤونة عن المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ الحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على الله جزيل الثواب))[٤٨]،وذلك حتى يوصف المتكلم بالبلاغة من خلال وصوله إلى أذهان مستمعيه فيفهمهم مراده.

ومِمَّا اشترطوه في الملقي أن يكون ((عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في مواضع الإطالة فيقصّر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في مواضع الإيجاز فيتجاوز عن مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة))[٤٩]،حتى يستطيع الوصول إلى غايته.

وقد فصّل العرب في أمر الإطناب والإيجاز فليس كل إيجاز محبب، ولا كل إطالة مردودة((وإنَّما تحسن الإطالة وبسط الكلام ...في تفسير الجمل وتكدير الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء، ومن يُقتَدى به ويؤخذ عنه))[٥٠].

وهذه كلها محاولات للإفهام، من خلال تفسير جملة بأخرى، أو تكرير الوعظ مرات من أجل التأكيد، وإن كان سيجعل الخطاب يطول؛ لأنَّ الإطالة ليست كلها عيبا، وأنَّما عيبها أن تكون دون فائدة ترجى، أمَّا إذا كانت فائدتها ملموسة فلا حرج في ذلك، حتى أنَّ ابن وهب فصَّل في أمر الإطالة والإيجاز بحسب المخاطبين، فجعل الإطالة أمراً محبباً إذا كانت((في مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الأفهام، ومن لا يكتفي من القول بيسيره، ولا يتفق ذهنه إلَّا بتكريره، وإيضاح تفسيره))[٥١]؛وذلك لأنَّ العوام فهمهم محدود ، ولا يستطيعون فهم ما يخاطبون به، ولا غاية مخاطبهم إلَّا بعد تفسير وتكدير .

بل إنَّ ابن المقفع لم يعب الإطالة في بعض المواطن والمواقف، فقال:((فأمّا الخطب بين السمّاطين، وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال))[٥٢]،فهو يجيز إطالة الخطبة في هذه المواضع، ويردها في أخرى.

أمَّا الإيجاز فله مواضعه أيضاً، وحسب ابن وهب ((ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة من ذوي الأفهام الثاقبة، الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبمجمله عن تفسيره)) [٥٣]؛لأنَّ الخاصة من ذوي الأفهام سريعو الفهم يتوصلون إلى المعنى بأيسر القول لذلك قيل: ((رُبَّ قليلٍ يغني عن الكثير ... بل رُبَّ كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة))[٥٤]،غير أنَّه يشترط ألَّا يكون مجحفاً للمعنى، معيباً له، فالإيجاز أيضاً ((ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقال مقام، ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرّده الله في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرَّر تارة للإفهام))[٥٥].

وليس الإيجاز أو الإطناب ممدوحين في ذاتهما، وإنَّما بحسب الحاجة إليهما فـ((القول أنَّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل موضع

منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضع كالحاجة إلـــــى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير فـــــي ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز موضع الإطناب أخطأ))[٥٦] .

وتجدر الإشارة إلى أنَّه على الخطيب أن يتعامل مع جمهور السامعين بحسب انتباههم إليه، فإن هو رأى القوم مقبلين عليه اهتماماً وإنصاتاً لقوله زادهم إن أراد بقدر ما يحتملون، وإن تبيَّن له إعراضهم عنه، وتثاقلهم في الاستماع إليه خفَّفَ عنهم، وأجاز قوله، وذلك حتى يستطيع الخطيب التعرف ما إذا وصل الفهم للمخاطبين أم لا، فنظراتهم وتغيرات قسمات وجوههم وهم ينظرون إليه معبرة عن ذلك، بل تعبر حتى عن استساغتهم للموضوع أم نفورهم منه[٥٧].

٢ـ الإقناع: إنَّ البلاغة العربية تقوم على الإفهام والإقناع، وقد رأينا أنَّ الإفهام هو وصول المرسل إلى ذهن المرسل إليه، فغاية الملقي في ذلك أن يقنع المتلقي؛ لأنَّ((الإقناع هو قوام المعاني الخطابية))[٥٨]،وحتى يكون الخطيب مقنعاً للمستمع، لابُدَّ أن يردَّ كلامه((على جهة الاحتجاج والاستدلال))[٥٩]؛لأنَّ الخطابة أساساً تقوم على تقوية ظنّ المتلقي، لا على يقين، إلَّا إذا عدل الخطيب عن الإقناع إلى التصديق[٦٠].

وكما هو معروف أنَّ الأقاويل تنقسم إلى صادقة وكاذبة، مثلما هو الحال في الخطابة أيضاً على حد رأي القرطاجني غير أنَّ الخطيب يستطيع أن يقنع مستمعيه عن طريق التمويه والاستدراج، وفي ذلك يقول حازم القرطاجني:((وانَّما يصير القول الكاذب مقنعاً وموهماً أنَّه حقٌّ بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، وتلك التمويهات والاستدراجات، قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنَّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها))[٦١].

وهنا يكون لقدرة الخطيب وممارسته وقع في عملية الإقناع، بتهيئة هيأة من يسمع قوله أو باستمالة المخاطب إليه، وبذلك يكون المخاطب أيضاً مهيَّأً لقبول القول والاقتناع به؛ لأنَّ العملية الإقناعية مبنية على الإقناع والاقتناع، ولا يمكن أن تقوم على جانب واحد منهما.

ويعتمد الخطيب عادة في إقناع مستمعيه على مقدمات تفضي به إلى نتائج،((لأنَّ القياس قول مؤلف من مقدمات وقضايا، إذا كانت مُسلَّمة، ورُتبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح، لزم عن ذلك القول المرتب لذاته قول آخر يسمى نتيجة))[٦٢]،وإذا صحت هذه المقدمات صحت النتيجة، وبذلك يكون القياس صحيحاً.

وقد يبنى القياس علـــــى مقدمات موهمة للسامع حتـــــى يطوى فـــــي ذلك محـــــلّ الكذب، وفي هذا يقول حـــــازم القرطاجني:((والتمويهات تكون بطي محل الكذب من القياس عن السامع أو باغتراره إيَّاه، ببناء القياس على مقدمات توهم أنَّه صحيح،

لاشتباهه بالصحيح، أو بوجود الأمرين معاً في القياس، أعني أن يقـــع فيه خلل من جهتي المادة والترتيب معاً، أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب))(٦٣)،من أجل إقناع سامعيه.

وقد أورد الجاحظ عدداً من صفات الخطيب، حتى يكون مقنعاً بليغاً، ومن ذلك ما ترجم عن صحيفة هندية جاء فيها:((أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب، رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأُمَّة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة))(٦٤).

كما ركز الجاحظ على عدد من صفات الخطيب الجسدية، والملكات الذهنية، ثم عرَّج على هيئته من طول وقصر، وحسن ودمامة، وكل ماله أثر في إقناع المستمع، وجذبه إليه قبل الإقناع باللغة ، ومن ذلك ما أورده من قول سهل بن هارون:((لو أنَّ رجلين خطبا أو تحدثا، أو احتجّا ووصفا، وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيَّاً، ولبَّاساً نبيلاً، وذا حسب شريفاً، وكان الأخر قليلاً قميناً، وبادّ الهيئة دميماً، وخامل الذكر مجهولاً، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب، لتصدّع عنهما الجمع، وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم، وللبادّ الهيئة على ذي الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه، ولصار منه سبباً للعجب به، ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه؛ لأنَّ النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس))(٦٥).

هذا مِمّا يبين ما لهيئة الخطيب من دور في تهيئة نفس السامع للاقتناع بما سيأتي في قوله، فلولا سماع الناس لهذين الرجلين اللذين وازن بينهما الجاحظ لكان الاقتناع من نصيب النبيل الجسم، بدليل أنَّ جمهور السامعين عندما رأوا الدميم القميء يئسوا من بيانه ولم يتوقعوا فصاحة لسانه، وإنَّما أعجبوا به عندما وازنوه في الهيئة بصاحبه ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة ، فشخصية المتكلم لها دور مهم في نظر المخاطبين،((ونعني بشخصية المتكلم أمام الجماهير، صغيرةً أم كبيرة، أن يكون مؤهلاً للحديث بحيث يلقى قبولاً وترحيباً من الحاضرين، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كانت لديه مجموعة من الإمكانات التي تعينه على النجاح في أداء رسالته))(٦٦).

ظهر لنا مِمَّا تقدم ذكره معنى الخطابة في التراث، التي تقوم على الإفهام أولاً والإقناع ثانياً، فالإقناع هو المطلب الأساس من الخطابات كما يتجسد التواصل كذلك من خلال الفعل وردِّ الفعل فلا اقتناع دون إقناع .

المبحث الثالث

ضوابط التواصل اللغوي الاجتماعي

أولاً: مطابقة الكلام لمقتضى الحال: تراعي البلاغة العربية عموماً حال السامع، لاسيَّما في الخطابة، وقد دعاه البلاغيون باسم (مقتضى الحال)،وهو ((الاعتبار المناسب))(٦٧)،ومعنى ذلك أنَّ الخطيب يراعي المقام الذي يصاغ فيه كلامه، وقد حدد السكاكي المقامات بقوله:((لا يخفى عليك أنَّ المقامات متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجِدِّ في جميع ذلك يباين

مقام الهزل))[٦٨]،من خلال قول السكاكي يتبين أنَّه على الخطيب أن يراعي مقام كلامه ، فلا يكون جادّاً في موطن الهزل ، ولا هزليًّا في موطن الجِدِّ ولا مرّغبًا في مقام الترهيب، وغير ذلك من المقامات المختلفة، وفي ذلك يقول الجاحظ:

((إذا أعطيت كل مقام حقّهُ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتمَّ لِمَا فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنَّه لا يرضيهما شيء ...))[٦٩]،فالعرب قد ركزوا على المقام؛ لأنَّه يساعد على التواصل وإفهام المخاطب.

ولم يمدح العرب مراعاة المقام في النثر أو التواصل العادي فقط بل مدحوه حتى عند الشعراء، ومن ذلك ما ذكره الحسن بن بشر الآمدي [٧٠]،وعلي بن عبد العزيز الجرجاني [٧١]، أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أثنى على زهير بن أبي سلمى، بأنَّه كان لا يمدح رجلاً إلَّا بما في الرجال، ولا يمدح العامة بما يمدح الخاصة، ولا يمدح التجار وأصحاب الحرف بما يمدح به الصعاليك وحملة السلاح.

ومقتضى الحال أو المقام هو ما يسميه المحدثون بـ(سياق الحال) أو(سياق المقام)، ومن أوضح تعريفاته هو:((كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق ، فتعطي اللفظ دلالاته، وتوجهه باتجاه معين، فهو إذن مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه التي تعين على فهمه وتفسيره))[٧٢].

نستنتج من خلال التعاريف السابقة أنَّ مقتضى الحال/المقام، يضمُّ كل ما يحيط بالعملية التواصلية من ظروف مكانية، والموقف الذي يصدر فيه الحدث الكلامي، فضلاً عن المتكلم والمخاطب معاً، لكنَّ البلاغيين العرب ركزوا غالباً على الموقف وعبروا عنه بـ (المقام) كما ركزوا على حال السامعين، واشترطوا على الخطيب أن يوازن المعاني مع أقدار المستمعين ومقاماتهم،إذ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٧٣].

ومن هنا يظهر أنَّ العرب قد اهتموا بحال المخاطب وقسّموه إلى (خواص/عوام) دون أن ينقصوا من قيمة المعنى مهما كان المخاطب، وقد ورد هذا في صحيفة بشر بن المعتمر، حين مروره بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فقال:((... فكن في ثلاثة منازل، فإنَّ أولى الثلاثة أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك مكشوفاً، وقريباً معروفا، إمَّا عند الخاصة إن كنت للخاصّة قصدت، وإمّا عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنَّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال))[٧٤].

وعلى الرغم من أنَّ البلاغيين العرب لم يجعلوا الشرف حليف معاني الخاصة، ولا الاتضاع لمعاني العامّة إلَّا أنَّ تقسيمهم قائم على الطبقية بين الخاصة والعامة، سواء أكان التقسيم سياسياً أم اجتماعياً؛ لأنَّ لكل طبقة ألفاظها ومعانيها التي تفهمها ولا يمكن أن تفهم غيرها، لذا على الخطيب ألَّا((يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: لكل مقام مقال))[٧٥]،وتكون مراعاة المخاطبين واجبة من حيث استعمال مصطلحات لا يفهمها العامة أو إدراج ألفاظ لا تليق بمقام الخاصة، ((فلا ينبغي أن يكون اللفظ عامّياً، وساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشيّاً إلّا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابيّاً ، فإنَّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أنَّ الناس أنفسهم طبقات))[٧٦]،فإذا وجه الخطاب لغير أهله قُطِعَ التواصل والتفاهم قطعاً تامّاً، ويصبح الخطاب لا جدوى من ورائه؛ لأنَّ الغاية من الخطابة الإفهام والإقناع، فلا إفهام حاصل ولا إقناع، ما لم يراعِ الخطيب مقامات المخاطبين ((فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسَّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقي، والبدويُّ بكلام البدو...ولا يتجاوز عمَّا يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتُعدم منفعة الخطاب))[٧٨]،فلو افترضنا أنَّ خطيباً وقف أمام جمع من السوقى، يخاطبهم بلغة عربية فصيحة بليغة، ترتقي إلى كلام الخاصة من أهل العلم والبلاغة، لأصبح الكلام بالنسبة إليهم من باب المسائل المغلقة التي لا تصل أذهانهم إلى فهمه وتحليله واستيعابه، وهنا ينقطع التواصل بين الخطيب ومستمعيه.

فلذا لا بُدَّ على الخطيب أن يتعرف على هوية المخاطبين، حتى يستطيع أن يتعامل معهم بما يجب أن يعاملهم أو يخاطبهم به، لضمان الوصول إلى أذهانهم وقلوبهم.

وهذا ما ذهب إليه المحدثون في تعريفهم المقام، إذ يقول ديكرو:((إنَّنَا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهوية هؤلاء، وإنَّنا لنُعَرِّف التداولية – غالباً- بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة))[٧٩].

وكذلك أشار البلاغيون إلى أنَّ توافق المعاني مع ما يليق به من اللفظ ويوافقه، ولا يكون الاعتماد فقط على الصحة اللغوية فـ((ليس كل كلام صحيح صحة لغوية مطلقة، صالحاً لمقامه، أو موفقاً في أداء رسالته، في ظروفه وحاله، ففي هذا الحال ينقص ضرب آخر من الصحة، وهي صحة الإيصال والتوصيل على وجه معين يقابل أغراض الكلام، ويعنى بمقاصده، هذا الضرب الآخر من الصحة هو ما نسميه (الصحة الخارجية)،وينعته علماء العربية بمطابقة الكلام لمقتضى الحال))[٨٠].

وهكذا يصحُّ الكلام والإيصال، وينتج عنه تواصل

بين المتكلم والمخاطب، عندما يقيم المتكلم المعنى في نفسه، ويحدد الغرض الذي يقال فيه، والمقام الذي يجب له، وفي هذا يرى القرطاجني أنَّ ((اعتبار ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها، وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام، وتكون له به عَلَقَة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام منقولاً فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول))[٨١]،وبذلك يكون القرطاجني، قد ألمَّ بكل العوامل الخارجية للكلام، فالمعاني حتى تكون صحيحة مطابقة للغرض الذي يقصده القائل لابُدَّ أن تراعى فيه أربعة أشياء:

١. الكلام نفسه، هل هو مؤدٍّ للغرض المقصود أم لا؟.

٢. ما اقترن به الكلام، وماله علاقة به.

٣. الغرض الذي من أجله نقل هذا الكلام.

٤. حال الشيء الذي تعلق به القول.

وهكذا تكون المعاني موافقة للمقام أو السياق الخارجي للقول.

وكذلك وضح علماء البلاغة أنَّ معرفة أقدار الألفاظ، وأقدار المعاني يكون بحسب الموقف الذي يقال فيه الكلام، حتى يأتي المتكلم للمعاني ألفاظاً تليق بها، ومعنى ذلك أنَّ المتكلم لا يستطيع أن يعطي اللفظ حقّه من المعنى ولا أن يوفّر للمعنى اللفظ الذي يوافقه إلَّا إذا راعى في ذلك مقام الكلام((فالكلام يجري حسب الموقف الذي يحدث أو الذي يثير الكلام، ويثير اللغة، فهذا يعبر عن مشكلات، قضايا، أوضاع اجتماعية ... أيّاً كانت))[٨٢]،وهذه الإثارة للكلام أو اللغة، لابدَّ أن يكون حسب المقام والموقف الذي يجري فيه الحدث الكلامي، لذا قالت العرب:((لكل مقام مقال)) فمن غير الكافي أن يعرف الإنسان ما يُقال وإنَّما يجب أن يعرف متى، وأين، وفي أيِّ موقف يقوله، ولمن يوجهه .

وبذلك تؤثر اللغة تأثيراً كبيراً في فهم الحقائق والأفكار، وتفسيرها بحسب الموقف الذي قيلت فيه، وحسب الظروف المحيطة بعملية التواصل، وفي هذا المضمار يقول تراند راسل:((الكلمة تحمل معنى غامضاً إلى درجة ما، ولكن المعنى يُكْتَشَفُ فقط عن طريق ملاحظة استعماله، والاستعمال يأتي أولاً، وحينئذ يتقطَّرُ المعنى منه))[٨٣]، فالمعنى في حدِّ ذاته لا يحدد للفظ إلَّا من خلال استعماله لغوياً في الجملة، ومقامياً من خلال المقام أو سياق الحال كما يعبر عنه المحدثون، فـ((معنى الكلمات في المعجم ليس هو كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمَّة عناصر غير لغوية لها أثر كبير في تحديد المعنى، بل هو جزء أو أجزاء من معنى الكلام، ولا يمكن فهم الكلام على وجه اليقين بدونها، ومن تلك العناصر: شخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيطها بالكلام ساعة التَكَلُّم من ملابسات، وظروف ذات صلة به، ومن حضور يشهدون الموقف الكلامي))[٨٤].

من خلال ما سبق ندرك أنَّ علماء العربية قد ركزوا في التواصل على المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى الحال عندهم يحددونه

على وفق النقاط الآتية:

١ـ موازنة أقدار المعاني بأقدار المستمعين.

٢ـ موازنة أقدار المعاني بأقدار الحالات.

٣ـ الموازنة بين الألفاظ وأقدار المستمعين.

٤ـ معرفة المقامات والتفريق بينها.

٥ـ حسن مؤاخاة النحو على حسب الأغراض التي يصاغ فيها الكلام.

ويمكن تقسيم المقدم إلى قسمين: خارجي وداخلي [٨٥] :

أولاً: الخارجي: وهو كل ما هو خارج ذات المتكلم وعناصره هي:

أ-المتلقي:.

١ـ طبقته العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية ...

٢ـ ردود أفعاله: وتشمل الرفض والقبول ...

ب- وسيلة الاتصال: ويقصد بها اللغة، والوسيلة هي المشافهة أو المكاتبة .

ج- السياق العام: ويقصد به السياق الاجتماعي والسياسي ...

د- طبيعة الموضوع: قد تكون سياسية، اقتصادية، اجتماعية ... ويراعى في ذلك المتلقي.

ثانياً: الداخلي: ويراعى فيه مقاصد المتكلم، وقد تكون سابقة أو طارئة.

ثانياً: عيوب الكلام والتواصل: من المعلوم أنَّ التواصل لا بُدَّ أن يقوم على قواعد صحيحة حتى يفهم السامع من القائل مراده، ويستطيع التفاعل معه، وإلَّا انقطع التواصل بينهما، وبما أنَّ العرب قد ركزوا في التواصل الاجتماعي على الخطابة فقد ركزوا كذلك في عيوب التواصل على النطق، والفصاحة (فصاحة اللفظ والكلام)، واللحن، وما يتصل بالخطيب، وستعالج هذه المسائل وفق ما يأتي:

١ـ ما يتصل بالنطق: وقد ذكروا في ذلك سلامة النطق واعتبروا ((أنَّ البيان يحتاج إلى ... سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف))[٨٦] ، فحين نتأمل هذه الصفات الثلاث، نجد أنَّ صحة المخرج وتكميل الحروف تفيدان سلامة النطق ووضوحه، فيكون لهما مردود سمعي يتمثل في صحة السمع ووضوحه؛ لأنَّ سوء السمع يؤدي إلى سوء الفهم، أمَّا جهارة المنطق، فتفيد شدة وضوح النطق الذي يساعد على فهم السامع للقول لذا أكدّوا على هذه الصفة في الخطيب، حتى أنَّهم إذا وصفوا خطيباً بإعجاب نسبوا له هذه الصفة و((ذلك أنَّ الجهرة تخلع على الخطيب الهيبة في نفوس جمهوره))[٨٧].

واشترط ابن وهب في الخطيب حتى يصل إلى إفهام سامعيه ((أن يكون لسانه سالماً من العيون التي تشين الألفاظ، فلا يكون ألثغاً، ولا يكون فأفاءً، ولا تمتاماً، ولا ذا رِتَّة، ولا ذا حُبسة، ولا ذا لفق، فإنَّ ذلك أجمع لما يذهب بهاء الكلام، ويهجن البلاغة وينقص حلاوة النطق))[٨٨].

وإذا ذهب بهاء الكلام، وهجنت البلاغة، انقطع التواصل أو قلَّ حظه على الأقل، وقد ذكر الجاحظ ما يقلل من التواصل أو يمنعه بقوله : ((والذي يعتري اللسان مِمَّا يمنع من البيان أمور، منها: اللثغة التي تعتري الصبيان ...)[٨٩]ولثغة الراء، أي: بإبدالها غيناً أو ذالاً أو ياءً،((والغين أقلها قبحاً وأوجدها في كبار

الناس وبلغائهم، وأشرافهم وعلمائهم...))[٩٠].

أمَّا اللكنة فهي أيضاً من معوقات التواصل، وقد ركز عليها الجاحظ وأورد لها أمثلة عديدة مِمَّا جمعه، ومنه قول مسلم بن سلّام: حدثني أبان بن عثمان، قال: كان زياد النبطي، أخو حسان النبطي شديد اللكنة، وكان نحوياً ...ودعا غلامه ثلاثاً ، فلمَّا أجابه، قال: فمن لدن دأوتك إلى أن قلت لَبَّيْ ما كنت تصنأ ؟ يريد: من لدن دعوتك إلى أن أجبتني، ما كنت تصنع))[٩١]،فمثل هذا القول يجعل السامع يقف محتاراً أمام معناه فلن يصل إليه إلَّا بعد جهد من التفكير والتفسير.

كما حدد العرب معنى البلاغة بأنَّه الإفهام، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كان المتكلم سليم النطق، ومن ذلك ما أورد الجاحظ:((حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي: ما البلاغة ؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ... قال: فقلت له: قد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة ؟ قال: أما تراه إذا تحدثَ عند كل مقطع كلامه: ياهناه، ويا هذا، وياهيه، واسمع مني، واستمع إليَّ، وافهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كله وما أشبه عيٌّ وفساد))[٩٢] .

٢ـ الفصاحة: لقد وضع العرب شرط الفصاحة حتى تتم عملية التواصل، وهي سمة لكل من تكلم فأفصح، أي: أبان و أوضح عن مقاصده، وتكون الفصاحة في اللفظ وفي الكلام:

أولاً : الفصاحة في اللفظ:حتى يكون اللفظ فصيحاً، لابُدَّ أنْ يكون خَلْوَاً من((تنافر الأحرف والغرابة ومخالفة القياس))[٩٣] على حد قول القزويني، وفيما يأتي توضيح ذلك:

١ـ تنافرالأحرف: وتكون الكلمة متنافرة إذا ثلقت على اللسان، وتعسر النطق بها نحو كلمة ((مستشزرات))[٩٤].

٢ـ الغرابة: ويكون اللفظ غريباً إذا كان غير مألوف الاستعمال، وذلك يعد أيضاً من معوقات التواصل، ومثاله ((تكأكأتم – افرنقعوا))[٩٥].

٣ـ مخالفة القياس: والمقصود بذلك مجيء الكلمة على خلاف ما ورد عند العرب ((نحو قول أبي النجم

الحمد لله العلي الأجل

الواحد الفرد القديم الأوّل

فقوله : (الأجل)، فيه مخالفة للقاعدة الصرفية: لأنَّه فكَّ الإدغام، والأصل عدم فكّه، فتكون (الأجلَّ)[٩٦].

وهذا الخروج عن القاعدة الصرفية وأمثاله ، قد يشغل ذهن المتلقي بالمخالفة دون الكلام مِمَّا بسبب فقدان الانتباه للمخاطب، وبذلك قد ينقطع التواصل جزئياً على الأقل.

٤ـ الكراهة: وهي كراهة اللفظ في السمع، ولم يذكر القزويني هذا الشرط مفرداً ؛ لأنَّه عده في نطاق الغرابة، إذ يقول:((وذلك لأنَّ الكراهة في السمع تداخل في نطاق الغرابة، فلا حاجة لإفرادها في حيز خاص))[٩٧] .

ثانياً:- الفصاحة في الكلام: لكي يوصف الكلام بالفصاحة، لابُدَّ أن يكون خلواً ((من ضعف التأليف، ومن تنافر الكلمات، ومن التعقيد))[٩٨]،فإذا كان اللفظ

فصيحا، وكذا الكلام، يستطيع المتلقي فهم مقاصد مخاطبه، وفيما يأتي بيان ذلك:

١- ضعف التأليف: ومعنى ذلك مخالفة القانون النحوي((مثل عودة ضمير متقدم على لفظ متأخر، نحو: «ضرب غلامُه زيدًا» فالهاء في (غلامه) تعود على (زيدًا) المتأخر لفظًا))[٩٩]، فقد يشوش ذلك الفهم على جمهور السامعين، فينقطع الفهم والتواصل.

٢- تنافر الكلمات: وهو أن يكون في الكلمات ثقل على اللسان، وهو نوعان: متناهٍ في التنافر، وأخفُّ تنافرًا، ومثالهما:

((قول أحدهم :- وقبـــــر حـــرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقول آخر :- كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي إذا ما لمته لمته وحدي .

وهو أخفُّ تنافرًا مِمَّا قبله)) [١٠٠].

٣- التعقيد: وهو ((أن لا يكون الكلام ظاهرًا للدلالة على المراد لخلل يقع في النظم أو في الانتقال))[١٠١]، فإذا وقع خلل في النظم أو الانتقال يصبح الكلام غامضاً بعيداً عن فهم السامع له، وهو نوعان:

- التعقيد في النظم : وهو ألَّا يكون الترتيب وفق المعاني، يسبب التقديم والتأخير أو الحذف أو الإضمار مِمَّا يجعل المراد صعب الفهم[١٠٢].

- التعقيد في الانتقال: ويكون عن طريق انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم إلى المعنى الثاني المقصود، وهذا مِمَّا يعيق فهم القول، ويعجز المتلقي عن الوصول إلى مراد الملقي، مِمَّا يقف عائقًا في عملية التواصل، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيناي الدموع لتجمدا [١٠٣].

يظهر لنا مِمَّا تقدم ذكره أنَّ الخطيب لو عَلِقتْ به كل هذه العيوب أو بعضها فإنَّ جمهور السامعين سيمُلُّ كلامه –لا محالة- مِمَّا يجعل التواصل ينقطع بينه وبين مستمعيه.

ثالثاً: تجنب اللحن: وأمّا اللحن فهو الوجه الآخر من معوقات التواصل من عيوب الكلام، وقد قال فيه عبد الملك بن مروان:((اللحن هجنة على الشريف والعجب آفة الرأي)) وكان يقول:((اللحن في المنطق، أقبح من آثار الجدري على الوجه))[١٠٤].

ويظهر ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه العرب للنطق السليم، وتتبع قواعد النحو، فلا يفسد المرء منطقه بفساد لغته، فلا يفهمه سامعه، ومِمَّا يورده الجاحظ كمثال على ذلك:((سمع أعرابي مؤذنًا يقول: أشهد أنَّ محمدًا رسولَ (بالنصب)الله، فقال: ماذا يفعل))(١٠٥)، وكان الصواب أن يرفع لفظ (الرسولُ)حتى يستقيم المعنى وتتم الفائدة، وهذا ما جعل الإعرابي يستفهم؛ لأنَّ الخبر لم يتم، وما زال ينتظر صنيعه، إنَّ عدم فهم الإعرابي هو ناتج عن لحن المؤذن.

بل إنَّ اللحن في بعض الأحيان تكون عواقبه أسوأ، حسب ما أورده الجاحظ عن أبي الحسن، إذ يقول : ((كان سابق الأعمى يقرأ: ((الخالق البارئ المصَّور)) فكان ابن جابان إذا لقيه قال: يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه، وكان يقرأ: ولا

تَنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، قال ابن جابان: وإن آمنوا أيضاً لن ننكحهم))( ) ،وكان يريد قوله تعالى: ((ولاتُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)) [١٠٦]. وإن كان قول ابن جابان فيه من التهكم والسخرية ما فيه، إلَّا أنَّه يوضح ما للحن من أثر في قطع التواصل قطعاً كلياً.

رابعاً: ما يتصل بالخطيب: لم تعب العرب الإطالة في الخطبة وإنَّما عابوا على من لا يحسن تخيُّرَ موطنها، ولا جمهور المتلقين ، لذا كانت الإطالة عيباً إن لم تكن في مكانها، كما((ينبغي للخطيب ألَّا يستعمل في الأمر الكبير، الكلام الفطير الذي لم يُخَمِّره التدبر والتفكير))[١٠٧]، فلا بُدَّ أن يعطي الأمور قدرها، وأن يتدبر الأمر ويتفكّر فيه قبل النطق به أمام جمهور السامعين، لاسيَّما إن الأمر المُتَكلَّم فيه يستحق ذلك ، ولابُدَّ أن يكون سليقياً غير متكلف في بلاغته ولا متزيِّد في بيانه، فإنَّ((مدار اللائمة، ومستقرَّ المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبياناً يمازجه التزيُّد))[١٠٨].

أمَّا فيما يخصُّ شخص الخطيب في ذاته، مِمَّا يعيق التواصل، فقد جمع ذلك الجاحظ في قوله:((تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغضٌ، والنظر في عيوب الناس عيٌّ، ومسُّ اللحية هَلَكٌ والخروج مِمَّا عليه أوّل الكلام إسهاب))[١٠٩] .

إذا كل تلك العيوب التي ذكرها الجاحظ في الخطيب، قد تنفر السامع منه مِمَّا يؤدي إلى قطع التواصل بينه وبين الجمهور.

ويضيف الجاحظ:((أنشدني سحيم بن حفص في الخطيب الذي تعرض النحنحة والسعلة ... فقال:

نعوذ بالله من الإهمال

ومن كلام الغرب في المقال

ومن خطيب دائم السعال))[١٠٩].

فنلاحظ أنَّ الجاحظ قد أضافِ لمَا سبق خصلتين مذمومتين في الخطيب تقطع التواصل، هما: النحنحة والسعلة، وقد قال بشر بن المعتمر:

ومن الكبائر مقول متتعتع

جمَّ التنحنح متعب مبهور [١١٠] .

وهكذا فإنَّ البلاغين، قد ركزوا على عيوب الكلام من جميع جوانبه وإن لم يسهبوا في بعضها، إلَّا أنَّهم لم يتجاوزوها، وبينوا انقطاع الفهم وعدم استقامة البيان، وخروج الكلام عن المعنى المراد من طرف القائل(الخطيب)، إذا وردت هذه العيوب فيه.

النتائج

أمَّا النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

١- إنَّ للغة عدة وظائف، ومن أهمها الوظيفة التواصلية ، التي من شأنها أن تحافظ على حياة اللغة؛ لأنَّ اللغة تعيش بالتداول، وبغيره لا حياة لها.

٢- إنَّ علماء العربية في تراثهم اللغوي والبلاغي قد تنبهوا إلى معنى التواصل من خلال تعريفهم اللغة ،

إذ أعطاها ابن جني من خلال تعريفه سمة الجماعية .

٣- حدد علماء العربية عناصر التواصل ، فتوصلوا إلى أنَّ الملقي (المتكلم) والمتلقي (السامع) باعتبارهما العنصرين الأساسين في العملية التواصلية يتبادلان بينهما رسالة (خبر) عن طريق قناة وهي (اللغة) أو ما يقوم مقامها كالإشارة باليد أو الإيماء بالرأس وغيرهما ، ولا يكون ذلك إلَّا في سياق معين (مقتضى الحال/ المقام) ، وحتى يكون الفهم والإفهام تامّاً لا بُدَّ أن يتعارف المتكلم والسامع على شفرة معينة ، وذلك ما سماه ابن سنان بالمواضعة ، وبذلك تكتمل عناصر التواصل الستة .

٤- إنَّ البلاغة العربية قد توصلت إلى أشكال التواصل فعلاً بكل عناصرها بفضل جهود علمائها .

٥- لقد ركز البلاغيون العرب في التواصل الاجتماعي على الخطابة باعتبارها مجسدة له ، وهي تقوم على عنصرين أساسيين هما :- المرسِل (الخطيب) والمرسل إليه (جمهور المستمعين) .

٦- تقوم الخطابة على الإفهام أولاً والإقناع ثانياً ، فالإقناع هو المطلب الأساس من الخطابات كما يتجسد التواصل كذلك من خلال الفعل وردِّ الفعل فلا اقتناع دون إقناع .

٧- ركز البلاغيون العرب على عيوب الكلام من جميع جوانبه، وإذ لم يسهبوا في بعضها إلَّا أنَّهم لم يتجاوزوها، وبينوا انقطاع الفهم وعدم استقامة البيان، وخروج الكلام عن المعنى المراد من طرف القائل (الخطيب) إذا وردت هذه العيوب فيه.

الهوامش

١- علم الاجتماع اللغوي / ١١ .

٢- مقاييس اللغة ٦/ ١١٥ ، مادة (وصل).

٣- لسان العرب ١١/ ٧٢٦ ، مادة (وصل).

٤- تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٥ ، مادة (وصل).

٥- تاج العروس ٣١/ ٨٦، مادة (وصل).

٦- الخصائص ١/ ٣٣ .

٧- سر الفصاحة / ٢٢٠-٢٢١ .

٨- اللغة والفكر والمعنى /٢٣٦ .

٩- سر الفصاحة /٦١ .

١٠- الصناعتين /١٩ .

١١- المصدر نفسه /٢٣ .

١٢- مفتاح العلوم /٤١٥ .

١٣- الكتاب ١/٢٥-٢٦ .

١٤- البيان والتبيين ١/ ٧٦ .

١٥- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٦- البرهان في وجوه البيان / ٥٦ .

١٧- علم الإعلام اللغوي / ١١ .

١٨- مفتاح العلوم / ١٦٨-١٦٩ .

١٩- سر الفصاحة / ٤٨ .

٢٠- استراتيجيات التواصل / ٨ .

٢١- اللغة والتواصل /٣٨ .

٢٢- استراتيجيات التواصل / ٨ .

٢٣- استراتيجيات التواصل / ٩.

٢٤- استراتيجيات الخطاب / ١٤.

٢٥- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢٦- علم الإعلام اللغوي /٧٠.

٢٧- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢٨- المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

٢٩- اللغة والتواصل /٧٨ .

٣٠- المصدر نفسه /٧٩ .

٣١- المصدر نفسه / ٣٧ .

٣٢- تحليل الخطاب / ٢ .

٣٣- الاتصال في مجالات الإبداع الفني الجماهيري /٣٣ .

٣٤- الاتصال في مجالات الإبداع الفني الجماهيري /٢٠-٢٢.

٣٥- العقل واللغة والمجتمع /٢١٢.

٣٦- النص والسياق /٢٥٨ .

٣٧- ينظر : سر الفصاحة /٤٨ .

٣٨- المصدر نفسه /٤٨ .

٣٩- الحصيلة اللغوية /٧١ .

٤٠- المعنى و التنسيق و السيرورات /٥١.

٤١- الاتجاهات الأساسية في علم اللغة /٥٩-٦٩.

٤٢- اللغة وعلوم المجتمع / ٣٤ .

٤٣- اللسانيات التواصلية والمجتمع / ٧ .

٤٤- اللسانيات (المجال - الوظيفة – المنهج) / ٧٩ .

٤٥- اللسانيات (المجال، الوظيفة، المنهج) /٧٩.

٤٦- المصدر نفسه / ٨٠ .

٤٧- دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي / ٩٩ .

٤٨- المصدر نفسه / ١٠٠ .

٤٩- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / ١٧٢ .

٥٠- البيان والتبيين ١/ ٩٣ .

٥١- البرهان في وجوه البيان / ١٦٣ .

٥٢- البيان والتبيين ١/١١٤ .

٥٣- البرهان في وجوه البيان / ١٥٣ .

٥٤- المصدر نفسه / ١٦١ .

٥٥- البرهان في وجوه البيان / ١٥٤ .

٥٦- البيان والتبيين ١/١١٦ .

٥٧- البرهان في وجوه البيان/١٥٤ .

٥٨- البيان والتبيين ٢/ ٧ .

٥٩- أدب الكاتب / ١٣ .

٦٠- الصناعتين / ١٩٠ .

٦١- ينظر: البرهان في وجوه البيان / ١٥٣ .

٦٢- المنهاج/ ٣٦١ .

٦٣- المصدر نفسه / ٦٢ .

٦٤- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٦٥- المنهاج / ٦٣ .

٦٦- المصدر نفسه / ٦٦ .

٦٧- المصدر نفسه / ٦٤ .

٦٨- البيان والتبيين١/ ٩٢ .

٦٩- المصدر نفسه ١/ ٨٩ .

٧٠- استراتيجيات الخطاب/ ٤٤٩ .

٧١- الإيضاح/ ٣٣ .

٧٢- مفتاح العلوم/ ١٦٨ .

٧٣- البيان والتبيين١/١١٦ .

٧٤- ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري/ ٢٦١ .

٧٥- ينظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه/٢٤ .

٧٦- التأويل اللغوي في القرآن الكريم/ ١٢٨ .

٧٧- البيان والتبيين١/ ١٣٨-١٣٩ .

٧٨- المصدر نفسه١/ ١٣٦ .

٧٩- البرهان في وجوه البيان/ ١٥٣ .

٨٠- البيان والتبيين١/ ١٤٤ .

٨١- الصناعتين/ ٣٩ .

٨٢- مقام الخطاب/ ٦٧٧ .

٨٣- فن الكلام/ ٨٠ .

٨٤- المنهاج/ ١٣٠ .

٨٥- تمثلات اللغة في الخطاب السياسي/ ١٣١ .

٨٦- علم الدلالة / ٦٢ .

٨٧- التأويل اللغوي في القرآن الكريم/ ١٢٧ .

٨٨- البلاغة والاتصال/١٣٢-١٣٥ .

٨٩- البيان والتبيين١/ ١٤ .

٩٠- البلاغة والاتصال/ ٧٧ .

٩١- البرهان في وجوه البيان/ ١٧١ .

٩٢- البيان والتبيين١/ ٧١ .

٩٣- المصدر نفسه ١/ ١٥ .

٩٤- المصدر نفسه ٢/ ٢١٣ .

٩٥- المصدر نفسه ١/ ١١٣ .

٩٦- تلخيص المفتاح/ ٣٨ .

٩٧- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٩٨- المطول/ ١١٨-١١٩ .

٩٩- تلخيص المفتاح / ٣٩ .

١٠٠- المصدر نفسه/ ٤٠ .

١٠١- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٠٢- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٠٣- المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

١٠٤- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٠٥- المطول/ ١٢٢ .

١٠٦- تلخيص المفتاح / ٤٠ .

١٠٧- البيان والتبيين٢/ ٢١٦ .

١٠٨- المصدر نفسه ٢ / ٢٣٩ .

١٠٩- المصدر نفسه٢/ ٢١٩ .

١١٠- البقرة/ ٢٢١ .

١١١- البرهان في وجوه البيان/١٧٠ .

١١٢- البيان والتبيين١/ ١٣ .

١١٣- المصدر نفسه ١/ ٤٤ .

١١٤- البيان والتبيين ١ / ٤٠ .

١١٥- المصدر نفسه ١ / ٤١ .

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الأساسيات في علم اللغة: رومان جاكسبون، ترجمة: علي حاكم صالح، وحسن ناظم، ط١، المركز الثقافي العربي (المغرب)، ٢٠٠٢م.

٢- الاتصال في مجالات الإبداع الفني الجماهيري: محمد عبد الحميد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣- أدب الكاتب: أبو محمد الدينوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

٤- استراتيجيات التواصل الإشهاري: سعيد بنكراد وآخرون، ط١، دار الحوار، دمشق، ٢٠١٠م.

٥- استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية): عبد الهادي الشهيري، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤م.

٦- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة.

٧- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن القزويني، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢م.

٨- البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب، تقديم وتحقيق: محمد شرف، مطبعة الرسالة، (د . ت).

٩- البلاغة والاتصال: جميل عبد الحميد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة (د . ت).

١٠- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون، ط٢،دار الفكر،بيروت (د. ت).

١١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

١٢- التأويل اللغوي في القرآن الكريم: حسن حامد الصالح، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٣- تحليل الخطاب: بروان (ج . ب) وبول (ج)، ترجمة لطفي الزليطي، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.

١٤- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، قرأه وكتب حواشيه وقدم له: ياسين الأيوبي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م.

١٥- تمثلات اللغة في الخطاب السياسي: عيسى عودة بو هومة، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، العدد١، المجلد ٥٦، سبتمبر، ٢٠٠٧م.

١٦- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٧- الحصيلة اللغوية: أحمد محمد معتوق، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٦م.

١٨- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (د . ت).

١٩- دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي: بشير إبرير، ط١، مطبعة المعارف (عنابة) الجزائر، ٢٠٠٧م.

٢٠- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٢١- العقل واللغة والمجتمع: سيرل جون، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٢- علم الاجتماع اللغوي: لويس جان كالفي، ترجمة: محمد يحياتن، دار القصبة للجزائر، الجزائر، ٢٠٠٦م.
٢٣- علم الإعلام اللغوي: عبد العزيز شرف، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٠م.
٢٤- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٥- فن الكلام: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٦- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت (د . ت).
٢٧- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٨- لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ) ، ط١ ، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٩- اللسانيات (المجال، الوظيفة، المنهاج): سمير شريف استيتية، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٥م.
٣٠- اللسانيات التواصلية والمجتمع: سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د . ت).
٣١- اللغة والتواصل: عبد الجليل مرتاض، دار هومة الجزائر، ٢٠٠٣م.
٣٢- اللغة والفكر والمعنى: محمد بوعمامة، جامعة باتنة , الجزائر .
٣٣- اللغة وعلوم المجتمع: د. عبده الراجحي، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣٤- المطول (شرح تلخيص المفتاح): سعد الدين التفتازاني، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، ط١، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د . ت).
٣٥-المعنى والتنسيق و السيرورات :أليكس موتشيلي ،جان أنطوان كوربلان، فاليريفيرناندیز،ترجمة :محمدشيوني، مجلة علامات، مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب ،العدد ٢١،سنة ٢٠٠٤ .
٣٦- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٧- مقام الخطاب: مقال ضمن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تأليف: اوزوالد ديكرو، جان ماري سشافيز: ترجمة: منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي (المغرب)، ٢٠٠٧م.
٣٨- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس اللغوي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت،١٩٧٩م.
٣٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.
٤٠- الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م.
٤١- النص والسياق الشعري (من البنية إلى القراءة): علي أيت أوشان، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ٢٠٠٠م.

٤٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٢م.